أهمية البيانات

غالبا ما ينظر إلى **الإحصاءات والبيانات** على أنها موضوعات هامة ولكنها جافة. وكتاب ويليام ديرينغر عن استخدام القيم المحسوبة في بريطانيا في أواخر القرن السابع عشر والثامن عشر يشكك في هذه الصورة بقصة أحداث بارزة تؤدي فيها البيانات دورا محوريا.

فقد أدت «الثورة المجيدة» التي حدثت في عام ١٦٨٨ إلى اعتلاء ويليام أمير مقاطعة أورانج عرش إنجلترا. وأدى ما تلا ذلك من زيادة في سلطة البرلمان على التدابير المتعلقة بالميزانية، وإقامة نظام يوجد فيه حزبان، وتحرير الصحافة إلى تهيئة بيئة استخدم فيها الأفراد ذوو الدوافع السياسية (الذين يسميهم ديرينغر «الحسابيين») قيما محسوبة من أجل إخضاع الحكومة والشركات المدعومة منها للمساءلة العامة. وكان الاستخدام العام للبيانات بهذه الطريقة مميّزا لبريطانيا في ذلك الحين. وكان الحسابيون يتنافسون فيما بينهم ويشككون في حسابات بعضهم البعض لطرح نقاط سياسية. وبحلول عشرينيات القرن الثامن عشر، اعتمدت الحكومة برئاسة روبرت والبول اعتمادا متزايدا على الحسابيين لدعم القرارات المتعلقة بالسياسات.

ويركز الكتاب على أوائل القرن الثامن عشر، بمناقشاته اللاذعة بدرجة متزايدة بشأن الإنفاق الحكومي والضرائب والديون فضلا عن الميزان التجاري. ومع مرور القرن، اتسع نطاق دور وسلطة البيانات بدءا من الشؤون المالية والاقتصادية إلى البيانات الاجتماعية والجغرافية، بما في ذلك في المستعمرات البريطانية. وفي الواقع، يرى المؤلف أن الفترة تركت أكبر بصمة لها في الولايات المتحدة، باعتماد ذلك البلد بشدة على الطرق الكمية للمحاسبة والتقييم وصنع القرار.

ويسلّط الكتاب الضوء على استخدام عدد من التقنيات الإحصائية الناشئة. وتُبرز فقاعة بحر الجنوب — وهي قصة معلومات غير متماثلة، وحوافز غير متوائمة، ومستثمرين مضلَّلين في فترة ابتكار مالي — استخدام تحليل المعقولية لتصوير عبثية سعر السهم في قمة ارتفاعه. وقصة «التعادل» هي مثال لاستخدام التقنيات الحالية لتحديد القيمة من أجل وضع تقدير دقيق لمدفوعات إنجلترا لأسكتلندا عند توحيدهما. وثمة أمثلة أيضا لوضع سيناريوهات، ولأشكال سابقة من التحليل الانحداري، وللبدء في استخدام حسابات اكتوارية. وبذلك انبثقت مقاييس السعادة الاجتماعية.

يمكن في كثير من الأحيان أن تكون البيانات أداة لتوليد نقاش

وقد أبرزت طبيعة الحسابيين التنافسية مسائل القياس، التي لا يزال بعضها قائما حتى يومنا هذا. فقد أثار قياس التجارة الثنائية بين إنجلترا وفرنسا في بيئة تجارية يكون فيها رابحون وخاسرون مسائل تتعلق بتسجيل السلع التي يعاد تصديرها، وموثوقية البيانات الجمركية المُبلغ عنها، وتقييم السلع، مثلما يثير هذه المسائل الآن. وأثار النقاش الحزبي بشأن حجم الدين الحكومي وما إذا كان يتزايد أو ينخفض مسألة كفاءة استخدام القيمة السوقية. ووجّه الحسابيون الانتباه أيضا إلى أهمية تحديد الافتراضات الخفية الكامنة وراء الحسابات.

ويروي ديرينغر هذه القصص الحيّة مستخدما بحوثا غزيرة لا تجسد الأحداث المحيطة بها فحسب بل تجسد الشخصيات الشهيرة الكثيرة المعنية في تلك الأحداث أيضا. وهو يقول إننا يمكن أن نتعلم من مناقشات القرن الثامن عشر بالدعوة إلى استخدام مناهج حسابية جديدة ومتنوعة لتحفيز النقاش العام وتخفف من مخاوفه بشأن تنامي التوجهات المضادة للإحصاءات الكمية. وكما يلاحظ ديرينغر، يمكن في كثير من الأحيان أن تكون البيانات أداة لتوليد نقاش بقدر ما يمكن أن تكون أداة لتوفير أجوبة قاطعة. FD

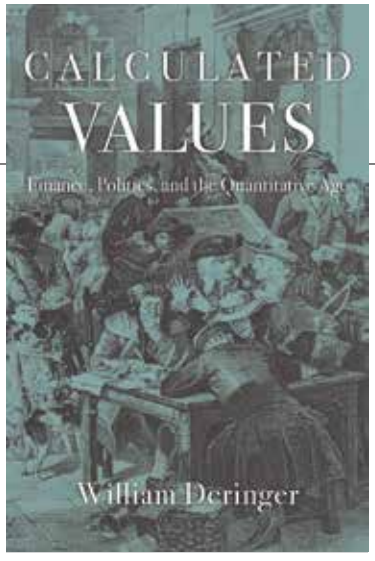

ويليام ديرينجر
القيم المحسوبة: المالية، والسياسة، والعصر الكمي

William Deringer
Calculated Values: Finance, Politics, and the Quantitative Age
Harvard University Press, Cambridge, MA, 2018, 440 pp., $45

روبرت هيث، نائب سابق لمدير إدارة الإحصاءات بصندوق النقد الدولي.